# الأفعال الكلامية واشتغالاتها الحجاجية في الرسائل الديوانية

## « رسالة المعتمد إلى أذفنش أنموذجاً »

الدكتورة

**ليلى محمد بايزيد**

أستاذ مشارك في جامعة الملك سعود

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

تروم هذه الدراسة الوقوف على الممارسات التداولية التي يمكن أن يجدها الدارس في الرسائل الديوانية، وتسعى إلى استنباط الاستراتيجيات الخطابية التي يتكئ عليها لتبليغ مقاصده، وقد وقع الاختيار على رسالة المعتمد إلى أذفنش[١]؛ لما فيها من تنوع في الأفعال الكلامية، واستلزام لمعان متضمنة حضت على إفرازها ملابسات الحدث الخطابي، فاجتهدت الدراسة في الإجابة عن استفهامات أهمها: ما الأفعال الإنجازية التي تمكنت من الخطاب، وما المعاني المستلزمة التي انبثقت عن غير المباشر منها؟ وكيف اشتغلت هذه الأفعال حجاجيًّا في النص؟ وقد سارت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، فقاربت بداية الأفعال الكلامية مقاربة نظرية موجزة، ثم انتقلت بعد ذلك لتدرس كل قسم منها على حدة، حيث استخلصت ما جاء منها في الرسالة، ثم تناولته بالتحليل والتمحيص الذي يمكن أن يتكفّل بتحقيق إجابات الاستفهامات السابقة.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيريات، الإعلانيات، المعنى المستلزم.

---

(١) وردت الرسالة كاملة في الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري،، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩-١٩٧٩، ص٣٩-٤١ ، وقد ألحقتها في آخر البحث.

## مهاد

لا بد للدارس حتى يتمكن من تأويل الخطاب وفهم تداعياته، من الإحاطة بعالمه، عبر الوقوف على الملابسات التي أفرزته، واستحضار الظروف التي أدت إلى تشكّله، فصاحب الخطاب القائم المعتمد بن عباد، ملك صاحب شأن، تمرّس قومه في حكم بلاد الأندلس، وقد آلت الإمارات الأندلسية في عهده إلى ضعف وتفكك وتسلط من الصليبين، ففي عام ٤٧٨ استولى أذفنش على "طليطلة"، وهدد حكام العرب حوله، حتى اضطر المعتمد أن يدفع الجزية إليه لقاء سلامته، والبقاء في الحكم، وتخلى من أجل ذلك عن نصرة المسلمين الذين استغاثوا به، غير أن أذفنش قد زاد طمعه، فأرسل إليه رسالة متغطرسة[١] يطالبه فيها بتسليم البلاد؛ لذلك استلزم الأمر أن يكون ردّ المعتمد لاذعًا، قاسيًا يتماشى مع الحدث الباعث عليه، فعنصر السياق الآن هو الهدف الأكثر أهمية انطلاقًا من أنه الباعث على التلفظ بالخطاب[٢]، والرسالة التي بين أيدينا تحمل قيمة لغوية وسياسية من خلال فحواها الذي يصدر عنه الانقلاب في الموقف السياسي للمخاطب.

---

(١) السابق ص٣٨-٣٩

(٢) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ٢٠٠٤، ص ١٥٩

## الأفعال الكلامية speech acts

تعود نظرية الأفعال الكلامية إلى الفيلسوف أوستين الذي أرسى مبادئها، فقسّم الأفعال إلى ثلاثة أقسام: فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام[١]، وفي الواقع تشكل هذه الأفعال كيانًا مستقلًا، وتُؤدى معًا في الوقت ذاته، ولا يمكن فصل أحدها عن الآخر إلا من أجل الوفاء بصرامة المنهج العلمي، ويعد الفعل الإنجازي أسَّ هذه الأفعال؛ لارتباطه بمقاصد المتكلم، وعلى الرغم من أن أوستين اجتهد في تصنيف الأفعال الكلامية، غير أن محاولاته لم ترق إلى أن تكوِّن نظرية متكاملة[٢]، حتى جاء تلميذه سيرل فقدم إضافات ثمينة أدت إلى تبلور النظرية، من ذلك: ربط بين الفعل الكلامي والعرف اللغوي والعرف الاجتماعي، ولم يجعل هذا الفعل مقتصرًا على مراد المتكلم، وطوّر شروط الملاءمة felicity conditions، وجعلها أربعة: شرط المحتوى القضوي propositional content، والشرط التمهيدي preparatory، وشرط الإخلاصsincerity، والشرط الأساسي essential، كما أنه ميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، ووضّح أن هذه الأخيرة لا تدل في بنيتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي القضوي، وإنما الزيادة تأتي من

(١) أوستين، جون لانكشو. نظرية أفعال اكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، ط٢، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨، ص ١٢٣

(٢) للتوسع فيما جاء به أوستين ينظر نحلة، محمود. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط٢، دار المعرفة الجامعية، مصر،٢٠٠٢، ص ٤٣-٤٧ . والجلولي، العيد. نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد ١٢ الخاص بـ " أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب" الجزائر، ص ٥٨ -٦٠

استراتيجية الاستنتاج. inference stratigy التي يستثمرها السامع ليصل إلى مراد المتكلم، كما قدَّم تصنيفًا بديلاً لما جاء به أوستين[١]، يتمثل في:

١- **الأفعال الإخبارية**

٢- **الأفعال التوجيهية**

٣- **الأفعال الالتزامية**

٤- **الأفعال التعبيرية**

٥- **الأفعال الإعلانية**

ويمكن تفصيل القول في كل صنف من الأصناف السابقة، والوقوف عليه في خطاب المعتمد بما يأتي:

## أولاً - الإخباريات أو التقريريات assertives :

يعمد المتكلم عبر هذه الأفعال إلى تصوير حدث ما، أو وصف واقعة معينة، وهنا يكمن غرضها الإنجازي، وتتسم هذه الأفعال بقابليتها للتصديق أو التكذيب، واتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم، ويتمثل شرط الإخلاص فيها في شفافية تصوير الحدث، ومصداقية نقل الواقعة، فصفاء النية أمر مهم في تحقيق الغرض[٢]"، والشرط المعد لجميع التقريرات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجّح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي، والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريرات هي الاعتقاد[٣]" ومما يندرج تحتها: أذكر، وأبين،

---

(١) للتوسع فيما جاء به سيرل ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٧-٥١. ونظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل ٦٠-٦٢

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٤٩ و ص ٧٨-٧٩

(٣) الطبطبائي، طالب سيد هاشم. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص ٣٠

وأستنبط، وأوضح، ويكثر وجود هذه الأفعال في الكتابات التاريخية، والرسائل السياسية، والرسائل الديوانية(١)، ونشرات الأخبار، وما تنقله الصحف من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية (٢).

وقد رصدت الدراسة في هذه الرسالة الأفعال الإخبارية الآتية:

**١- ما يدل على الاعتقاد: يظهر هذا الفعل في قوله:**

- **فإنه أول ما نبدأ به من دعواه أنه ذو الملتين، والمسلمون أحقُّ بهذا الاسم.**

إن الفعل الإنجازي فيما سبق متكوِّن من قوة إنجازية حرفية، تتمثل في الإخبار بما يعتقد، حيث ظهر شرط الإخلاص بيّنًا في الفعل، فأسهم في تحقيق نجاح الغرض، فهو يتصدى منذ الوهلة الأولى لدعوى الخصم، ويعمل على تقويض حججه بالرد المباشر عليه، وقد اعتمد صيغة الإثبات لترسيخ المعنى، مشفوعة بالتوكيد واسم التفضيل اللذين ضاعفا من هذا الترسخ، فـ "هذه الصيغ تحقق الشحن الاستدلالي للكلام وتقوي حمولته الإقناعية(٣) " ، بيد أن هناك قوة إنجازية أخرى غير مباشرة تستلزم استصغار المخاطب وتوبيخه – وهنا خرق جليٌّ لقاعدة الكيفية عند غرايس– ويعزز هذا المعنى استخدام المتكلم عن وعي منه ضمير الغائب للإشارة إلى المخاطب في محاولة منه لتغيبه عن الساحة إمعانًا في تحقيره، في حين استخدم للإشارة إلى نفسه ضمير جماعة المتكلمين؛ ليبرز

(١) بوقرة، نعمان. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية. مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد١٧، ٢٠٠٦، ص١٩٧

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١٠٣

(٣) عادل، عبد اللطيف. الحجاج في الخطاب السياسي مقاربة لأول خطاب رئاسي لمحمد مرسي، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦، ص ٢٩٤

مكانته وسلطته، في محاولة لرسم مشهد يستحضر فيه مجده السابق، ويَجُبُّ عنه سنوات الخضوع للمخاطب.

**٢- ما يدل على الاستنتاج: يتضح هذا الفعل في العبارات الآتية:**

- **لا تملكه قدرتكم**
- **لم تحكم أنحاؤه**
- **وافقتك فيه الأقدار**

يظهر في العبارتين الأوليين السابقتين فعلان إنجازيان مباشران يتكونان من قوة إنجازية حرفية يتمظهر غرضها الإنجازي في الإخبار بما أستنتجه المتكلم من الواقع المعاش، إذ ينفي عن المخاطب ما استقرّ في ذهنه من قدرة ظن أنه يمتلكها، أو من رأي حسب أنه يحكمه، فالنفي الآن ينجز وظيفة حجاجية مهمة تتمثل في إبطال معلومة الخصم من ناحية، والدفاع عن الموقف الذي يتبناه المتكلم من ناحية أخرى، فالاستراتيجية الحجاجية التي يقودها النفي تتوخى أساسًا الإبطال، وتجاوز إثباتًا نحو آخر يقام على أنقاض ما يُنفى[(١)]، كما أن في كل واحد من الفعلين قوة إنجازية غير مباشرة تأثيرية، تستلزم توبيخ المخاطب وتقريعه، فالوظيفة التي أداها النفي تتضافر مع ما سبق؛ لتزيد من قوة هذه الأفعال، وتعمّق تأثيرها في المخاطب، إذ " يعود موقف المخاطب كما يتصوره المتكلم النافي إلى أمر بديهي مفاده أن نفي الكلام في جانب منه أساسي تكذيب لذلك الكلام. بمعنى أنه يعتبر مطابقة الكلام للخارج خاطئة. ولكن التكذيب كثيرًا ما يصبح تكذيبًا للقائل به. فيكون من آثاره ومستتبعاته الإساءة إلى المخاطب

(١) عادل، عبد اللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة، ط١، منشورات ضفاف/ منشورات الاختلاف، المغرب، ١٤٣٤-٢٠١٣، ص٢٢٩

والطعن في شخصه[١]" كما قصد المعتمد في منطوقاته. أما الفعل الأخير فقد جاء أيضًا يحمل قوة إنجازية حرفية تتمثل في فعل الاستنتاج، لكن هناك قوة إنجازية ثانية غير مباشرة، تستلزم التقليل من شأن المخاطب وتحقيره فما انتصاراته إلا مصادفات، ليس له بها يد حتى يعجب بها، فالفعل الآن امتداد لمعنى الفعلين السابقين، حتى في النفي. غير أن أداء هذه الأفعال لم يكن على درجة واحدة من النجاح، فاستنتاجات المتكلم ينقصها كثير من المصداقية، ويتضح ذلك في الفعلين الأول والثالث، فالواقع آنذاك أن المخاطب قد ملك القدرة، وأعد العدة لحروبه، ولم تكن انتصاراته في طليطلة صدفة، فشرط الإخلاص قد اهتز في هذين الموضعين في حين ثبت في الثاني؛ إذ إن طلبه من المتكلم أن يسلم بلاده رأي لم يحكمه المخاطب، بدليل هذه الانفعالات التي تصدر عن المتكلم، وما يترتب عليها من محاولات لتثبيت الفرق بينه وبين المخاطب؛ بممارسة السلطة في خطابه، واعتماد اللغة الصارمة[٢].

٣- **ما يدل على الملاحظة**: **بدا هذا الفعل في قوله**:

- لا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك
- اغتررت بنفسك أسوأ الاغترار

عمد المتكلم هنا إلى الأفعال الإنجازية المباشرة، ويظهر أن قصد المتكلم في الفعلين السابقين مساويًا تمامًا للمعنى القضوي فيهما، فهو يتوجه إلى المخاطب بالذم المباشر، فينفي عنه صفة الحياء، وينعته بالغرور، هاتان الصفتان اللتان اتصف بهما الشيطان، ولاسيما الأخيرة، فوصل بذمه إلى أبعد الحدود، وزاد ذلك استخدامه اسم التفضيل "أسوأ" المضاف إلى المصدر "الاغترار"، فأمعن في

(١) المبخوت، شكري. إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٦ ، ص ١٩٣

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية، ص ٢٣٧

الذم والتوبيخ، فاعتماد المتكلم الآن الاستراتيجية التصريحية جاء عن قصد منه؛ ليؤثر تأثيرًا مباشرًا في المخاطب من ناحية، وليُعْلِمه بحقيقة نظرته إليه من ناحية أخرى، هذه النظرة التي تتواشج مع جوهر موقفه الإعلاني الذي ينبئ عنه الخطاب في فحواه، وهو ما زاد من نجاح الأداء.

٤- **ما يدل على التنويه: ورد هذا الفعل مرتين في قوله:**

- **لا تعرفه ملتكم**
- **وكان بينك وبيننا من المسالمة ما أوجب القعود**

يحمل الفعل الإخباري الأول قوة إنجازية مباشرة تتمثل في نفي القوة والاستعداد عن ملة المخاطب، ولا يخفى ما لهذا النفي من وظيفة حجاجية مهمة، فهو لا يشوش على دعوى الخصم السابق – بأنه ذو الملتين– فحسب، بل يدحضها، كما أنه ينهض بوظيفة أخرى تعويضية حينما جعل الاستعداد والقوة معروفين لدى المسلمين(١)، فـ" يشتغل النفي بوصفه آلية للنقض تفتت أسس الرأي المضاد، أوتنزع عنه المصداقية، وتثبت بدله الرأي المتبنى(٢)" ، ويُلحظ أن هناك قوة إنجازية أخرى غير مباشرة تأثيرية متضمنة في الفعل تتجلى في الاستهزاء بالمخاطب وتحقيره.

كما أن المتكلم يلجأ في العبارة الثانية إلى فعل التنويه أيضًا، ليذكِّر بالهدنة التي كانت بين الطرفين، فأوجبت القعود عن نصرة المحتاجين، ويظهر هذا الفعل حاملاً قوة إنجازية أخرى تتمثل في التماس العذر لنفسه عما وقع فيه

(١) الزماني، كمال. الحجاج في المناظرات الموجهة إلى أهل الكتاب" مناظرة الباقلاني لملك الروم أنموذجا"، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦ ، ص ٣٨٣

(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٢٢٣

من التقاعس عن نصرة المستغيثين به وخذلانهم، ففعل التنويه الآن المتمثل في المسالمة والقعود يتلبسه فعل الاعتذار، ويبدو أنه قد لجأ إلى إستراتيجيات لغوية ذات أطياف بعيدة تمتد لتدعّم الفعل الإعلاني الذي تتمحور حوله الرسالة، حيث صدَّر المنطوق بـ"كان" التي نقلت السامع مباشرة إلى فترة ولت بما فيها، فتؤذن بانتهائها، وتشي بإعلان بدء مرحلة جديدة، كما عاد إلى توظيف الضمائر بما يتناسب مع مقاصده، فأشار إلى نفسه بضمير جماعة المتكلمين، وللمخاطب بالمفرد إمعانًا بتحقيره وتصغير شأنه، ولم يتردد في استعمال بعض الصيغ التي لها أبعاد حجاجية تدعم أطروحته، فالصيغة "أوجب" تضع السامع أمام مشهد يتمتع فيه المتكلم بالقوة، لكن خذلانه لإخوانه لم يكن بسبب ضعفه، وإنما بسبب ما توجبه وتمليه المسالمة، وفي هذا خرق لقاعدة الكيف[(١)] بحسب نظرية غرايس، إذ إن قعوده عن نصرتهم كان بسبب خوفه على عرشه ومحافظته على أرضه، لكن عندما اهتز هذا العرش وشعر بالخطر ثارت حفيظته وأعلن تمرده.

٥- **ما يدل على الوصف**: **ظهر هذا الفعل في حديثه عن الفرسان حيث قال**:

- لدينا من كماة الفرسان، وجيل الإنسان وحماة الشجعان...رجال تدرعوا الصبر، وكرهوا الكبر، تسيل نفوسهم على حد الشفار، تنعاهم الهام في القفار يديرون رحى المنون بحركات العزائم، يشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم.

يُظهِر تعاقبُ الجمل الخبرية أنها تنسج مشهدًا وصفيًّا مهيبًا يصوّر فيه المتكلم جسارة الفرسان وقوتهم، وقد قام هذا الوصف على تعداد صفات الفرسان، والاهتمام بالتفاصيل، ووظفّ فيه الرموز المتضمنة في الثقافة العربية، مما أدى إلى تمطيط الوصف الذي تعمد فيه الارتكاز على المادية والحسية إمعانًا في التأثير في المخاطب، ومبالغة في التصوير ليضمن معايشة الحدث، فنحن أمام بؤرة

(١) بعيطيش، يحي. الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن كتاب " التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث،١٤٣٢- ٢٠١١، ص ١٠٨

وصفية خرق فيها قاعدة الكم الغرايسية، تفضي إلى إنجاز فعل إخباري واحد تتكون حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية مفادها وصف المتكلم لفرسانه، وبيان قوتهم وجبروتهم، ويحمل هذا الفعل قوة إنجازية أخرى غير مباشرة تأثيرية تتمثل في تهديد المخاطب وتخويفه. ومن جهة أخرى يلحظ أن هذا الوصف قد أنجز فعلا حجاجيًّا يتمثل في إبطال ما يراه المخاطب من ضعف المتكلم وقومه، وأدى فيه التوازي وظيفة مهمة في محاولة ثني المخاطب عن موقفه متوسلا في ذلك حجة التخويف.

**٦- ما يدل على الذكر: جاءت هذه الأفعال في العبارات الآتية:**

- عاطيناك كؤوس دعة
- وقد يأتي المحبوب من المكروه، والندم من عجلة الشرور.
- والله ينصر دينه الكريم {ولو كره الكافرون[١]}

تسفر العبارة الأولى عن فعل إنجازي مباشر يفيد مسايرة المتكلم للمخاطب، ويستشف من ذلك أن المتكلم قد كان على وفاق مع المخاطب، لكن العبارة تذهب إلى أبعد من ذلك، فهي تتضمن فعلًا إنجازيًّا آخر غير مباشر يتمثل في استصغار المخاطب، والتقليل من شأنه، وتؤدي فيه الصيغة "عاطيناك" معنى مهمًّا، فصيغة الفعل التي جاءت على وزن فاعَل تفيد المشاركة، وقد أُسند إليها ضميران: ضمير جماعة المتكلمين الذي يعود على المتكلم، وضمير آخر يعود على المخاطب، وقد جاء بصيغة الإفراد، وهذا ما جعل دفة المشاركة تختل، فالمشاركان في الفعل الآن غير متكافئين، فكفة المتكلم الذي مارس هذا الفعل وتحكم به على أنه هو الفاعل قد رجحت في مقابل كفة المخاطب التي شالت،

(١) التوبة ٩/ ٣٢ و غافر٤٠ / ١٤ و الصف ٦١/ ٨

وهذا ما يقتضي أن المتكلم الآن بيديه دفة الحكم، يسير الأمور كيفما يشاء، ويضع المخاطب في موضع استصغار وتحقير.

تظهر العبارة الثانية أن الفعل الإنجازي المراد من ورائها هو التسليم بما يجب أن يكون، وهذا المعنى يتناص مع قوله تعالى: "{ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم [(١)] } والواقع أن هذا الجزء من الآية الكريمة مسبوق بقوله تعالى: {كتب عليكم القتال وهو كره لكم} فتداعيات الخطاب وملابساته جعلته يستحضر هذه الآية الكريمة التي تهوّن عليه ما هو فيه، غير أن هذا الفعل الإنجازي يستلزم معنى آخر، فهو يعرب من ورائه عن إقدامه على تغيير الحالة التي هو عليها، لكن لم يصل هذا الفعل إلى مرحلة انقلابية تمكّنه من أن يندرج ضمن الأفعال الإعلانية ولاسيما باستخدام "قد" التي قللت من وقوع الفعل، كما يستلزم هذا الفعل تهديد المخاطب، إذ إن المتكلم قد أبدى استعداده للوقوف بوجهه.

أما العبارة الثالثة، فتحمل فعلاً إنجازيًّا تتكون حمولته الدلالية من قوتين: قوة إنجازية مباشرة تفيد إسناد نصر الدين الكريم إلى الله سبحانه وتعالى، وقوة إنجازية غير مباشرة تنتمي إلى حقل مغاير لحقل القوة المباشرة، ألا وهو التوجيهيات، فهو يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى أن ينصر دينه الكريم، ولم يتوجه بالدعاء لنصرة نفسه، ولعله في ذلك قد تحرَّج من أن يطلب النصر لنفسه بعد أن تخلَّى عن إخوانه في الدين، وسلّمهم إلى أعدائهم، لذلك ارتأى أن يتوجه بالدعاء لنصرة الدين، لا لنصرة شخصه أو قومه. وقد عمد إلى تقديم لفظ الجلالة للحصر، ولا يخفى ما في هذا من استحضار لسلطة أكبر منه في محاولة لزيادة تهديد المخاطب، وقد زاد من قوة هذا الاستحضار استشهاده بقوله تعالى: { ولو كره الكافرون} حيث حقق به –إضافة إلى ما سبق– وظيفة مهمة تتجسد في إثارة

(١) البقرة٢/ ٢١٦

غضب المخاطب، و ترسيخ "ترتبط هذه الوظيفة بمقام ايراد مقتضى معنى الكفر والذي في أغلبه يتجه نحو النزاع و الخصام بين صاحب الخطاب و المستهدف به و الغاية المتوخاة من ذلك ترهيب المخاطبين مما هم عليه من الغي، وزعزعة بل تغيير ما يعتقدونه بوساطة حقيقة من شأنها أن تحدث انقلابًا في أذهانهم.((١) )"

فالمتكلم استهدف من خلال منطوقاته إثبات وجهة نظره بأذفنش وقومه، وإظهار موقفه من تهديداته، فاستدعى أسسًا ومبررات تؤيد رأيه وتوضحه، وعلى الرغم من أن الجامع لهذه الأفعال إخباريتها إلا أن تدقيق النظر فيها، يكشف عن أنها استلزمت أفعالاً أخرى متضمنة، فلم يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل- وإن مثل غرضًا من أغراضه- وإنما تراءت من ورائه مقاصد أخرى أهم منه(٢)، تتمثل غالبًا في التوبيخ ، ويمكن توضيح ذلك في الشكل الآتي:

(١) العشراوي، عبد الجليل. آليات الحجاج القرآني" دراسة في نصوص الترغيب والترهيب"، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦، ص ٢٤٨

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية، ص ٣٦٨

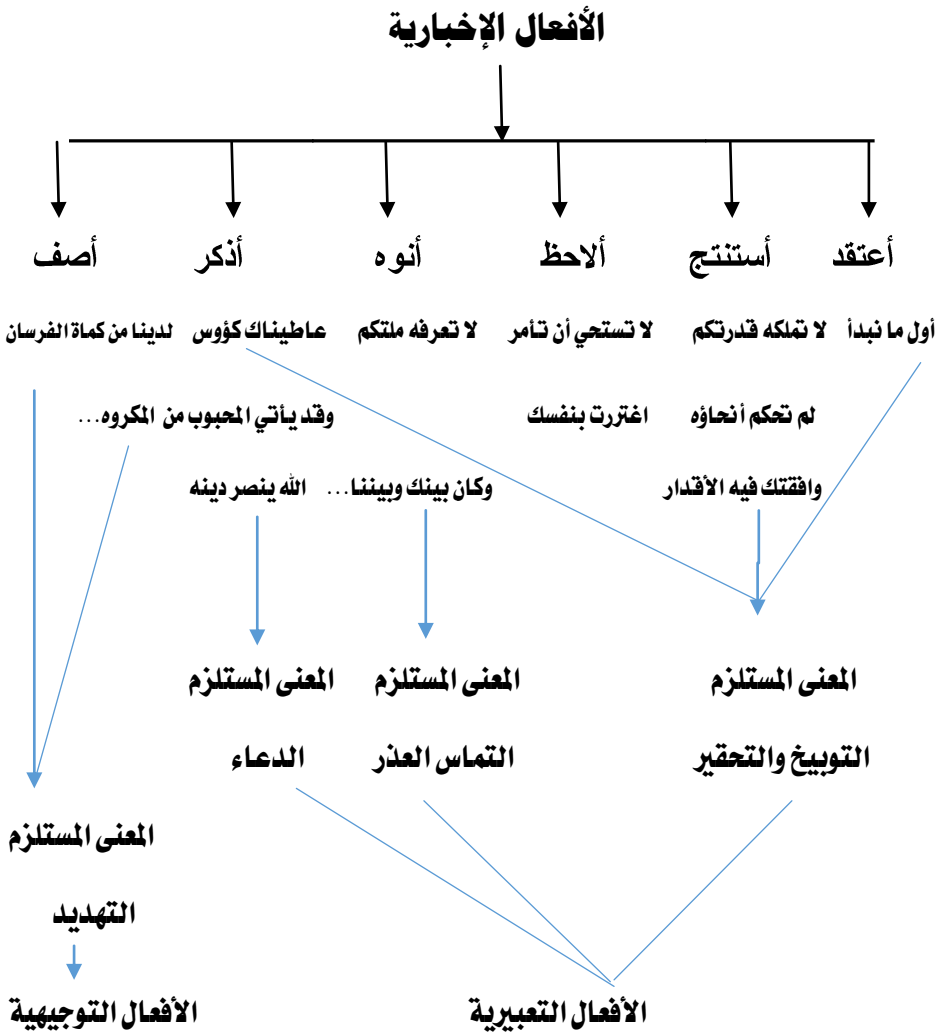


**الشـــــكل (( ١ ))**

**ثانياً - التوجيهيات أو الأمريات أو الطلبيات** directives :

يتمثل الغرض الإنجازي فيها في دأب المتكلم إلى توجيه المخاطب إلى فعل شيء محدد، والتأثير فيه؛ لينجز أمرًا ما في المستقبل، وهذا ما يحقق الشرط الأساسي essential الذي أضافه سيرل تحققا تامًا، كما لابد أن يكون المتكلم صادق الرغبة، حاضر الإرادة؛ لتحقق شرط الإخلاص، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب(١)، وتتراوح هذه الأفعال ما بين الاقتراح الخجول والمطالبة الإجبارية(٢)، ومما يندرج تحتها ما يدل على: الالتماس، الاستعطاف، والرجاء، والنصح، والعرض، والحض، والدعوة والاستفهام، والأمر، والتحدي.

يظهر أن هذه الأفعال لم تأخذ مساحة من الخطاب القائم، ولم يرد منها إلا الاستفهام حيث جاء مرتين في موضعين مختلفين:

**أولهما:** أما(٣) تعلم أنّا في العدد والعديد

ورد هذا الاستفهام في مطلع المقطع الوصفي الذي استحضره المتكلم؛ ليستعرض فيه قوته، ويظهر جبروت فرسانه، حيث شكّل مفصلاً أسهم في بناء النسيج النصي والتحامه، فتمكّن المتكلم عبره من الانتقال من الحديث عن ملابسات الخطاب إلى وصف قوته وعرض عزيمته، وقد جاء الاستفهام

---

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ص ٣١ ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٩-٥٠ و ص ٧٩

(٢) أرمينكو، فرانسواز.المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط،١٩٨٧ ، ص ٦٦

(٣) مكونة من كلمتين : همزة الاستفهام وحرف النفي. ينظر المرادي، الحسن بن قاسم، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان،١٤١٣-١٩٩٢، ص ٣٩٢

تقريريًّا[١]، إذ ارتكز فيه على الهمزة؛ بغية حصول التصديق في ظاهر القول، لكن ليس المراد به إثبات مضمون الجملة وإفادة وقوع الخبر، فـ " استفهام التقرير وإن تظاهر بالاستفسار، فإنه لا يطلب الخبر بل يبحث في إقراره على المخاطب[٢]" وحثه على الاعتراف بحقيقة ثابتة لا تدفع، فالاستفهام بِعدّه من التوجيهيات يدل على إلزام المخاطب بالمحتوى المتضمن في القول، ومن ثم الاعتراف بالمضمون القضوي للعبارة[٣]، وقد زاد من ترسيخ هذا المعنى النفي المشفوع بالاستفهام فتضافرت قوتا الاستفهام والنفي؛ لتفرز لنا قوة تنتزع من المخاطب الاعتراف بالحقيقة، ومن ناحية أخرى "لا يلتفت في المنظور التداولي إلى السؤال في ذاته، وإنما إلى علاقته بمقام التواصل الذي تم فيه. وتكمن القوة الإنجازية لهذا النوع من الأسئلة في قدرته على توريط المخاطب ببيان فساد رأيه[٤]"، كما أن تدقيق النظر وربط العبارة بمقامها يبرز أن لها وجهًا آخر يتمثل في القوة الإنجازية المستلزمة، فهو الآن لا يريد إقرار المخاطب فحسب وتوريطه بفساد رأيه ودحض دعواه، بل يعمل على تهديده عبر توسله بوصف قوة فرسانه واستعراض عدتهم، فـ" كلما دل الاستفهام على معان تداولية استُفيدت منه، زادت قوته الحجاجية،[٥] "

---

(١) ابن هشام، جمال الدين الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢- ١٩٩٢ص٧٩

(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٢١٧

(٣) آليات الحجاج القرآني" دراسة في نصوص الترغيب والترهيب"، ص ٢٣٢.

(٤) اجعيط، نور الدين. مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦ ، ص ٤٠٣

(٥) الناصري، يونس. تضافر المكونات اللغوية لحجاج المتلقي: الاستفهام نموذجا، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦ ، ص١٩٠

أما الاستفهام الثاني فورد في معرض هجومه المتجدد علـــى المخاطـــب، متكئًا عليه في نسج مقابلة بين أسلافه وأسلاف المخاطب، حيث قال:

متى كان لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يـــد صـــاعدة أو وقفـــة متساعدة ؟

وقد جاء الاستفهام إنكاريًا، إذ إن المخاطب طلب من المتكلم ما لا يحـــق له، وادّعى القدرة على فعل ذلك، وعلى الرغم من أن البلاغيين قد قســـموا هـــذا النوع من الاستفهام إلى إنكار توبيخ، وإنكار تكذيب[(١)] إلا أن من يمعن النظر في عبارة المعتمد يجد أنها تحمل المعنيين معًا: التوبيخ والتكذيب، فهو مـــن ناحيـــة ينكر على أذفنش موقفه المتغطرس، وظنه أنه يملك القدرة على المعتمد وقومه، فيوبخه على ذلك ويصغر شأنه باستحضار ماضي أسلافه الذليل مقابـــل أســـلافه الأكرمين، " فطبيعة العلاقة بين الطرفين تقتضي الانتقال من الفعل اللغوي المباشر الذي يتجلى في المعنى الحرفي للاستفهام إلى الفعل اللغوي غير المباشر الذي هو المعنى الاستلزامي الذي اقتضته العلاقة بين الطرفين والمقام، وهذا الفعل اللغوي غير المباشر هو الإنكار والتوبيخ[٢]" ويبدو هنا أنه انتزع هـــذا الاســـتعلاء مـــن الماضي، فوضع نفسه في مرتبة أعلى من أذفنش، ومن ناحية أخرى ينكر عليـــه ما همَّ بالقيام به من تسليم البلاد والتنازل عن الملك، فيكذِّب طلبه، ويبطل دعواه. فالاستفهام الآن أدى معاني تداولية عدة، وقام بوظيفة حجاجية مهمة، فتمكّن من دحض ادعاءات المخاطب الباطلة، وشبهه الفاسدة، وقد وصل الاستفهام الحجاجي

(١) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمـــد شـــاكر، مكتبـــة الخانجي / مطبعة المدني، ص ١١٩-١٢٠

(٢) آليات الحجاج القرآني" دراسة في نصوص الترغيب والترهيب"، ص ٢٢٦-٢٢٧

غايته القصوى حينما جمع كل تلك الدلالات المنطبقة على المخاطب من إنكار وتوبيخ وتكذيب وتخويف وتهديد في سياق واحد(١).

لقد أدى فعل الاستفهام في الموضعين وظيفة مهمة، فخرج عن معناه الأصلي ودلالته الصريحة؛ ليلبي إرادة المتكلم في تحقيق مقاصده، فاستلزم معاني يقتضيها السياق، ويمكن توضيح ذلك في الشكل الآتي:

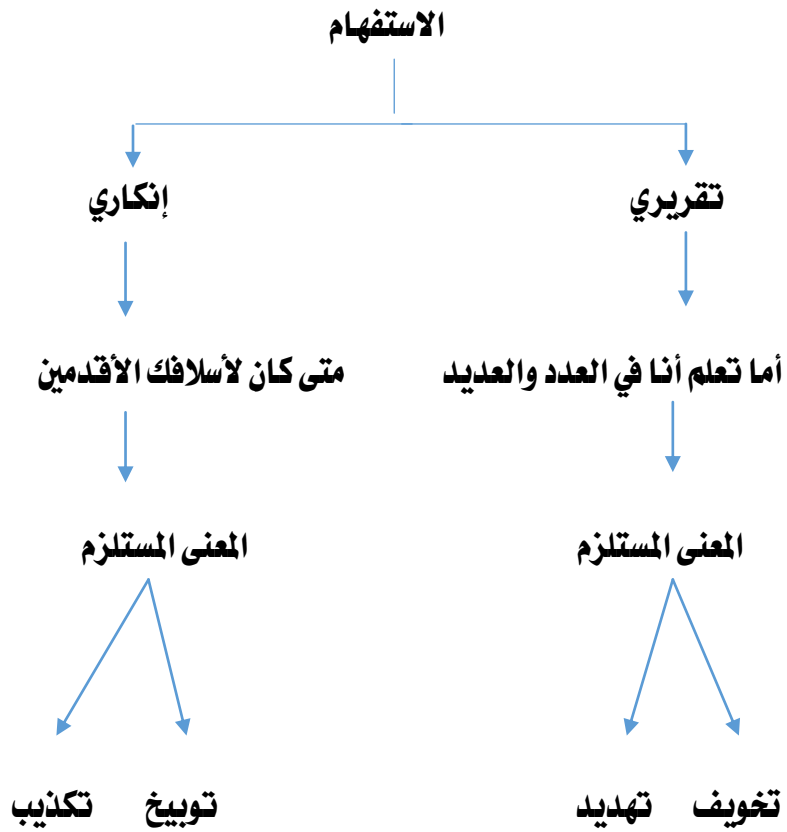


**الشكل (٢)**

(١) تضافر المكونات اللغوية لحجاج المتلقي الاستفهام نموذجا، ص١٩٠

**ثالثاً- الالتزاميات أوالتعهديات أو الوعديات** commissives:

يتمظهر الغرض الإنجازي فيها عبر إلزام المتكلم نفسه طوعًا بفعل أمر ما في المستقبل، وهذا الإلزام متفاوت الدرجات، ولشرط الإخلاص في هذه الأفعال ثقله، فلا ينبغي للمتكلم أن يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، كما أنه لا يتطلع إلى التأثير في السامع، واتجاه المطابقة في الغرض الوعدي هو من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلم، أما الحالة النفسية التي تعبر عنها فتتمثل في القصد، ويندرج ضمنها ما يدل على الوعد والوعيد والوصية والضمان والإنذار والتعاقد(١).

وردت الأفعال الالتزامية أربع مرات في النص أثناء توعد المتكلم أذفنش بالرد عليه، فقال:

- يوم يلتقي الجمعان
- قد أعدوا لك ولقومك جلادًا رتبه الاتفاق وشفارا حداد شحذها الأصفاق
- وبالله نستعين عليك
- لا نستبطئ في مسيرتنا إليك

ففي العبارة الأولى يلزم المعتمد نفسه بالوقوف في وجه أذفنش، ويلوح له بالحرب، وقد نتأت هذه العبارة؛ لتفصل بين الخبر "لدينا" والمبتدأ المؤخر "رجال"، في قوله: " ولدينا من كماة الفرسان وجيل الإنسان وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان رجال تدرعوا الصبر..." ولعل هذا التموضع جاء لغاية نفسية تتمثل في استعجال المخاطب بذكر فعل الوعيد، وهذا ما يترجم الحالة النفسية التي هو عليها من ناحية، ويرفع من وتيرة القوة الإنجازية للعبارة من ناحية ثانية،

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣٠ -٣١ وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٥٠ و ص ٧٩

ولاسيما أن هذا الوعيد جاء في معرض فعل الإخبار المتضمن التهديد، ويُلحظ تناص هذه العبارة مع قوله تعالى: { يوم التقى الجمعان[١]} حيث وردت أكثر من كرة في معرض التقاء جيش المسلمين بالكفار.

أما العبارة الثانية فلا يقل التوعد فيها عن سابقتها، بل يظهر أكثر جلاء بتفصيلاته التي حشدها، فلجوؤه إلى لام الاستحقاق[٢] زاد من حدة الوعيد، وضاعف من شعور المخاطب بأنه هو المستهدَف، كما أن تكرار هذه اللام ودخولها على قوم المخاطب شدد الحدة، فكأنه توعده مرتين، الأولى وحده، والثانية وهو مندرج مع قومه؛ مما كثَّف من الحمولة الدلالية للقوة الإنجازية المتضمنة في الفعل، فبرز التوعد أشد وأعتى.

ولا أستطيع أن أجزم إلى أي مدى كان أداء هذا الفعل ناجحًا، فشرط الإخلاص فيه يبدو مهزوزًا، فهل المتكلم آنذاك كان قادرًا فعلاً أن ينفذ ما يقول؟ أم أن استفزازه الشديد، وعبث أذفنش بكرامته قد دفعه إلى قول ذلك ثأرا لذاته؟ إذ إن مجريات الأمور لا تشي بأن موقف ملوك الأندلس آنذاك كان قويًّا، حتى هو نفسه لو كان يملك هذه القوة لما دفع المال سابقا لأذفنش لقاء سلامته وسلامة بلاده.

أما العبارة الثالثة فجاء الفعل الالتزامي فيها تتويجًا للفعلين السابقين، فقد تحوَّل من الاعتداد بنفسه، والاستعانة بقوة جيشه إلى إلزام نفسه بالاستعانة بالله تعالى، وقد جاء هذا الخطاب متماهيًا مع حالته النفسية، فبعد أن توعّد، وثنَى بتشديد الوعيد، توجه إلى الاستعانة بمن هو أقدر منه، فزاد من تصعيد حدة الوعيد، وهنا يعود شرط الإخلاص إلى الظهور في قوة، فإلزام المتكلم نفسه بالاستعانة بالله عز وجل على هذا العدو-ولا سيما في هذه الظروف-أمر لا محالة

(١) آل عمران٣/١٥٥، و١٦٦ والأنفال ٤١/٨
(٢) مغني اللبيب، ص ٢٧٥

منه، وقد عمد في ذلك إلى تقديم لفظ الجلالة على الفعل والفاعل، " فقد يلجأ المتكلم إلى تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها[١]" وبالطبع ليست الغاية من التقديم العناية والاهتمام فحسب، بل إنها أبلغ من ذلك، إذ إنه يجتهد في خلق فعل تأثيري يثني المخاطب عما أقدم عليه، فالمعتمد الآن يسعى إلى إبراز مشهد يُعظم فيه موقفه بحصر الاستعانة بالله تعالى، ويُطعِّم هذا المشهد باستخدام ضمير الجماعة للإشارة إلى نفسه، واستخدام ضمير المفرد للإشارة إلى المخاطب بغية تحجيمه، فيزداد الفعل الإنجازي طاقة.

بعد ذلك جاء الفعل الالتزامي الرابع: "لا نستبطئ في مسيرتنا إليك" مباشرًا لسابقه، وقد أدى فيه النفي وظيفة مهمة في إبعاد التقاعس عن المتكلم، وجعل أذفنش يُراجع موقفه، ويشكّك في مدى نجاحه، وهنا تبرز وظيفة النفي الارتجاعية، فـ" النفي إنكار يتعقب قولاً سبق ادعاؤه أو إثباته فهو دائمًا فعل ارتجاعي، وليس ابتداريًّا... وفضلا عن خاصية الارتجاع التي تميز النفي، فإن هذه الآلية الإقناعية تضطلع بدور تشكيكي، إنها تتدخل لكشف التوهم والمغالطة ومنازعة الخصم أطروحته،[٢] )" إضافة إلى هذا التشكيك الذي فتت دعوى الخصم، فإن الفعل الإنجازي يتضمن قوة إنجازية غير مباشرة مفادها تهديد المخاطب.

على أية حال يمكن توضيح سيرورة هذه الأفعال الالتزامية في نسيج النص في الشكل الآتي:

(١) صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٠٤

(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص ٢٢٧

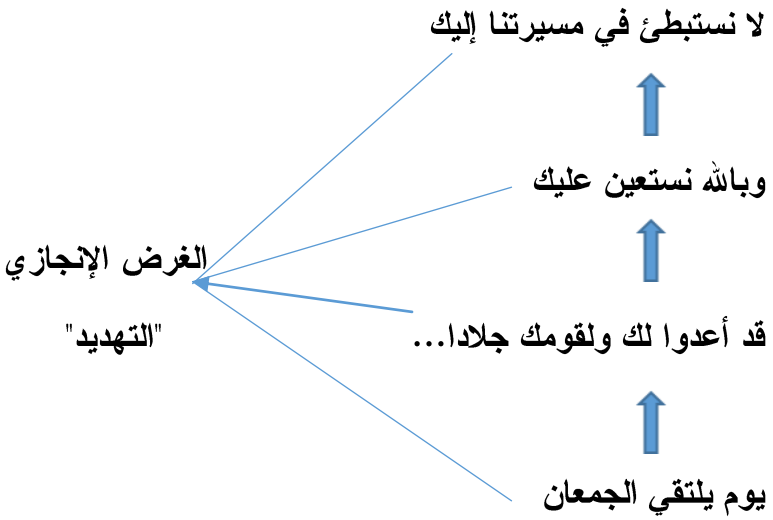


## الشكل (٣)

يظهر الشكل السابق ارتفاع وتيرة الأفعال الالتزامية، وتماشيها مع مجريات الخطاب فمن توعد وتلويح بشن الحرب، إلى وصف لعتاوة هذه الحرب وشدتها وجبروت رجالاتها، إلى استعانة بالله تعالى أعظم قوة، إلى إسراع وتوعد بقرب النفير. كما يمكن القول: إن هذه الأفعال تتماشى في تفاقمها مع الحالة النفسية للمعتمد، فتترجم انفعالاتها المتصاعدة، وتسجل مؤشراتها المتلائمة مع سيرورة الخطاب.

**رابعاً - التعبيريات أو الإفصاحيات أو البوحيات** expressives :

يعبر المتكلم بوساطة هذه الأفعال عن حالته النفسية ومشاعره إزاء الواقعة التي يتغيا تحققها، ويكمن غرضها الإنجازي في التعبير عن الموقف النفسي للمتكلم تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، إذ إن الإخلاص كل ما هو مطلوب في التعبير عن القضية، وليس لهذا النوع من الأفعال اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يسعى إلى أن يجعل القول مطابقًا للعالم، ولا العالم مطابقًا للقول، ومما يدخل تحت هذه الأفعال، ما يدل على الشكر أو الاعتذار أو المواساة أو التهنئة أو الترحيب أو الدعاء(١).

وقد انتشرت هذه الأفعال في الخطاب فبلغت سبع مرات، وانتظمت في الأفعال الآتية:

**١- ما يدل على الدعاء : وظهر هذا جلياً في قوله :**

- **قطع الله دعواه**

بعد أن افتتح المتكلم خطابه على نهج من سبقه بذكر اسم مرسل الخطاب، واسم المرسل إليه، أردف ذلك بما لقب به أذفنش نفسه، وما سمى به بلاده، مقدمًا عليه تلقيبه بالطاغية الباغية، وتوجه بالدعاء عليه، فقال: قطع الله دعواه، وهذا فعل إنجازي مباشر، سارع إليه المعتمد ليعرب لأذفنش عن انقلابه عليه، وتعمد الإشارة إليه بداية بضمير الغائب؛ لإبعاده عن الحدث الكلامي تحقيرًا له وتقليلا من شأنه، وقد عزز هذا الأمر ومهّد له، ما وسمه به من قبيح الألفاظ التي لم تأت للذم فحسب، بل حملت معنى أعمق من ذلك، فهي تعمل على توجيه ذهن السامعين إلى النفور من أذفنش، كما أنها من ناحية أخرى فيها طاقة

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣٢-٣٣، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٥٠ و ص ٨٠

حجاجية عالية؛ إذ إنها لا تصف المخاطب فحسب، بل يحاجج المتكلم عبرها ليلزم هذا الوصف تصنيف المخاطب ضمن فئة معينة تستلزم مقت الناس وغضب الله تعالى[١] .

كما ورد الدعاء في قوله:

- ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم، وإسلامهم إلى أعاديهم .

جاء الفعل الإنجازي في هذه العبارة مطابقًا لمراد المتكلم، فطلب المغفرة هو المحتوى الحرفي للعبارة، إذ إن استراتيجية التعبير الصريح الآن تناسب الحالة النفسية التي هو عليها، ولا يُنتظر منه أن يتحرى استراتيجيات أخرى في هذا المقام، فما لحقه من تقصير في حق نفسه وقومه، وفي حق من استنجدوا به –فخذلهم وسلمهم إلى عدوهم– يستدعي منه أن يتضرع إلى الله تعالى، ويتوجه إليه بطلب المغفرة، فهذه العبارة يقتضي بها فعل شيء ما، وكل مخاطبة يقتضى بها شيء فلها جواب، وجواب التضرع البذل أو المنع[٢]، وهو الآن يأمل البذل من المولى، فيغفر له، وهنا يتضخم شرط الإخلاص، كما أن هذا الفعل يستلزم معنى الندم، فملابسات الحدث – سابقة الذكر– تستدعيه بشدة، مما يزيد من القوة الإنجازية للفعل .

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية، ص ٤٨٩

(٢) الفارابي، أبو نصر. الحروف، تحقيق: محسن مهدي، ط٢، دار المشرق، لبنان، ١٩٩٠، ص ١٦٢-١٦٣

٢- **ما يدل على الثناء: تجلى هذا الفعل في قوله:**

- والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما الموت دونه.

استخدم المتكلم في هذه العبارة عدة استراتيجيات، فعمد بداية إلى الفعل التعبيري المباشر المتمثل بالحمد، هذا الفعل الذي يُهيئ السامع لتلقي محمود إيجابي إلا أنه بعد ذلك فاجأه بأن الحمد الآن على عقوبة، وليس على ما ذهب به الظن، إذ إن الأمر آل إلى غير ما هو متوقع، فخلق مفارقة سريعة، وفي هذا تحفيز لذهن المخاطب، وشحذ لانتباهه من ناحية، ومن ناحية أعمق، فيه تفريغ لما يحمله المخاطب من شحنات انفعالية، ثم بعد ذلك زاد الأمر عمقًا حينما جعل هذه العقوبة متجسدة في توبيخ أذفنش وتقريعه، وأسفر عن ذلك ارتفاع وتيرة الانفعال من توبيخ إلى تقريع إلى ما الموت دونه، فالقارئ الآن أمام منجز فعلي كثيف جدًا يستلزم ازدراء المخاطب.

٣- **ما يدل على الترحيب: ورد ذلك في العبارتين الآتيتين:**

- سلام على من اتبع الهدى
- السلام على من علم الحق فاتبعه، واجتنب الباطل وخدعه

تبرز العبارة الأولى التي افتتح فيها خطابه فعلًا تعبيريًّا يدل على الترحيب، لكنه محصور في "من اتبع الهدى "،وهذا الفعل يخلق عند الوهلة الأولى تناقضًا مع ما سبقه من الدعاء على المخاطب، ووسمه بالطاغية الباغية، لكن لا يخفى ما في هذا التعبير من استلزام خطابي يشي بجبروت من يلقي عليه السلام وتكبره، فالعبارة ألقاها موسى عليه السلام على فرعون(١)، وهي عينها التي

(١) طه٢٠/ ٤٧ {...والسلام على من اتبع الهدى}

افتتح بها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خطابه إلى هرقل[١]، فالفعل المنجز من ورائها الآن ما هو إلا تهكم بالمخاطب، فهو يلجأ إلى استعمال هذه التقنية بعدّها إحدى الاستراتيجيات غير المباشرة التي تستلزم قصدًا يغاير ما يدل عليه الخطاب بمعناه القضوي[٢]. فنحن أمام خرق بيِّن لقاعدة الكيف، كما أن هذه الاستراتيجية تتيح له النيل من المخاطب، فالسامع مباشرة يستشف ماهية الذات التي يلقي عليها هذه التحية، فيستحضر رمز الطغيان فرعون.

أما الفعل الثاني فقد اختتم به الخطاب، وهو كذلك يحصر الترحيب في "من علم الحق فاتبعه، واجتنب الباطل وخدعه"، وقد لجأ إلى التقابل لما فيه من إقناع وإجلاء للأمر المطلوب، ولم يعمل على تحديد المخاطب، إمعانًا في التقليل من شأنه، وإنما خصّ السلام بجنس من يتبع الحق، ويجتنب الباطل، وفي هذا محاولة لتأكيد دعواه بأنه هو صاحب الحق، ويظهر أن هذا الفعل التعبيري المباشر يستلزم فعلًا آخر يغاير تصنيفه، فيندرج ضمن الأفعال التوجيهية، إذ إن هناك أمرًا مبطنًا بوجوب اتباع الحق، واجتناب الباطل، فدل "على طلب الفعل في المحمود، وطلب الترك في المذموم من غير إشكال[٣]." ويشتم من وراء هذا الأمر التهديد، فنحن أمام ثلاثة أفعال: فعل تعبيري مباشر يتمثل في التحية، وفعل توجيهي غير مباشر يتمثل في الأمر، وفعل توجيهي غير مباشر أيضًا، غير أنه يزيد عن سابقه بالقوة الإنجازية ويتمثل في التهديد. فجماع هذه الأفعال من شأنه " تنبيه متلقي الخطاب، وإظهار حقيقة ما هو خائض فيه ترهيبًا له وتخويفًا، سعيًا إلى الرفع من

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢٣- ٢٠٠٢ ، ص ١٠

(٢) بوقرومة، حكيمة. دراسة تداولية لأفعال التهكم في القرآن الكريم، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٢٣١

(٣) الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٧- ١٩٩٧ مج ٣ ، ص ٤٢٣

القوة الإنجازية لفعل الأمر، في أفق تحقق الفعل التأثيري والمتمثل في مراجعة المخاطب لحاله وتغيير اعتقاده.(١)"

إن تأمل الفعلين السابقين يظهر أن المتكلم درج على عادة من سبقه بافتتاح الرسالة بالتحية واختتامها بها، لكن على الرغم من تمكنه من المحافظة على هذه السنة إلا أنه استثمر الموضعين لتحقيق مقصديته من وراء الخطاب، حيث انقلبت التحية إلى معان أخرى كما سبقت الإشارة.

٤- **ما يدل على الاعتذار**: **يظهر ذلك في قوله**:

- أغفل عن النظر السديد جميل مباديك

يُظهر هذا الفعل الإنجازي الحالة النفسية التي عليها المتكلم، ويترجم مشاعره إزاء ملابسات ما أفرز هذا الخطاب، فهو يتلمس الآن العذر لما صدر عنه من تراخ أو توان في أمر السيادة، وينسب هذا التقصير إلى غفلته السابقة لا إلى عجزه، فالمعنى المستلزم الآن من وراء هذا الفعل يكمن في درء الخضوع، وإبعاد التقصير عن نفسه، كما يكشف تخيره للوحدة " أغفل" بعدًا حجاجيًّا مهمًا، إذ ينفي بوساطتها أن يكون تقصيره مردّه إلى التراخي أو العجز أو الخوف، وإنما هو غفلة قد يقع فيها الشجاع، وبهذا يتعالى على الموقف، ويجعله جسرًا مفصليًّا بين مرحلتين متناقضتين، تجب أخراهما الأولى. فيظهر هنا شرط الإخلاص أبلجَ، إذ يتحقق الغرض الإنجازي من الفعل في تعبيره الصادق عن موقفه النفسي من هذه القضية.

(١) آليات الحجاج القرآني" دراسة في نصوص الترغيب والترهيب"، ص٢٠٩

٥- **ما يدل على التعجب: جاء ذلك صريحاً في قوله:**

- **وإنا لنعجب من استعمالك لرأي لم تحكم أنحاؤه**

**يظهر أن المتكلم أراد -عن وعي منه- أن يأتي بالمعنى القضوي للفعل المنجز، فصدرت عنه شحنات انفعالية عالية تلائم مقتضيات الخطاب، وتنسجم مع حالته النفسية، حيث أدى الفعل وظيفة مهمة في تلبس رأي المخاطَب بالاستهجان والغرابة، ولهذا بعد حجاجي أيضًا، فالرأي المستهجن لا يصدر عن حكيم أو عاقل، وقد أكد هذا المعنى بتصريحه بعد ذلك بأنه "رأي لم يحكم أنحاؤه"، وقصد إلى استخدام وحدة "رأي" نكرة للتحقير والتهوين، فاجتماع الاستهجان مع التحقير استلزم المبالغة في إنكار هذا الرأي وازدرائه، ويبدو أن حشد هذه الوسائل اللغوية والتوسل بها قد أمد الفعل الإنجازي بطاقة تعبيرية عالية، تفضي إلى تحقيق مأربه.**

**فالأفعال التعبيرية الواردة في الخطاب انحصرت في الدعاء والثناء والترحيب والاعتذار والتعجب، وقد انبثقت عنها معان مستلزمة قصد الوصول إلى غرض الخطاب، خرق كثير منها قاعدتي الكيف والكيفية ويمكن إجمال ذلك في الشكل الآتي:**

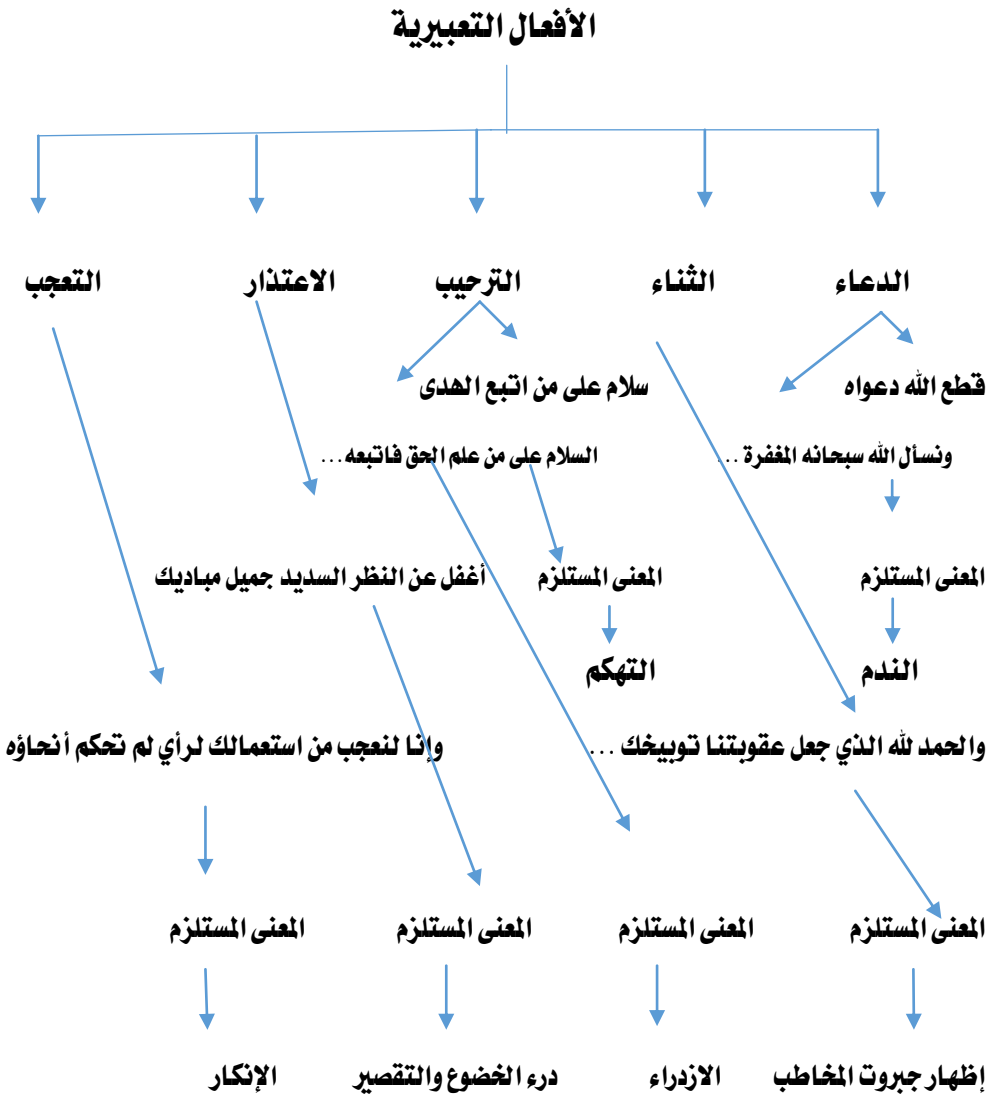
الأفعال التعبيرية
الدعاء
الثناء
الترحيب
الاعتذار
التعجب
قطع الله دعواه
سلام على من اتبع الهدى
ونسأل الله سبحانه المغفرة ..
السلام على من علم الحق فاتبعه ...
المعنى المستلزم
المعنى المستلزم
أغفل عن النظر السديد جميل مباديك
النـدم
التهكم
والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك ...
وإنا لنعجب من استعمالك لرأي لم تحكم أنحاؤه
المعنى المستلزم
المعنى المستلزم
المعنى المستلزم
المعنى المستلزم
إظهار جبروت المخاطب
الازدراء
درء الخضوع والتقصير
الإنكار

**الشكل (٤)**

## خامساً - الإعلانيات أو الإيقاعيات declarations :

تمتاز هذه الأفعال بأنها تحدث تغييرًا فوريًّا في الوضع الراهن، وثمة سمة أخرى تميزها عن غيرها من الأفعال السابقة، تتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، إذ إن أداءها الناجح يكفي لتحقيق المطابقة بين العالم والقول، واتجاه المطابقة فيها مزدوج أي: من العالم إلى القول، ومن القول إلى العالم، كما أنها تقتضي عرفًا غير لغوي، ومن هذه الأفعال: إعلان الحرب، والزواج، والطلاق، والبيع، والشراء[1]. والأفعال الإعلانية التي رصدها البحث في الرسالة يمكن أن توضح مع غرضها الإنجازي في الشكل الآتي :

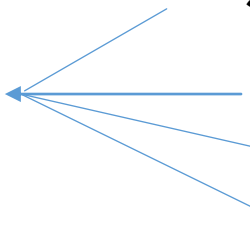


**الشكل (٥)**

في العبارات الأربع السابقة ينجز المتكلم أفعالاً إعلانية، يتمثل غرضها الإنجازي في شق عصا الطاعة، والتمرد على أذفنش، وما تلاحق هذه الأفعال إلا ليؤكد للمخاطب فعله، فهو قد حزم أمره، وعقد عزمه، وتحول من حالة الخنوع التي كان عليها إلى حالة العصيان، فتوعد وهدد بالهجوم، فظهر جليًّا توافق اعتقاده ورغبته في تحقق القصد. كما أن لهذه الأفعال الإعلانية بعدًا حجاجيًّا أيضًا

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣١- ٣٢ ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٥٠ و ص ٨٠

يتمثل في تكرير مضمونها، إذ يشكل آلية أساسية من آليات الإقناع وتدعيم المعنى، فـ" تكرير المضمون على مستوى جملتين أو أكثر أوسع من غيره مدى في نص الخطاب، ولعله من أجل ذلك أبلغ أثرًا في إقناع المخاطب بوجهة نظر المتكلم أو دعواه أو مصداقيته أو دحض دعوى الخصم مرة بعد أخرى(١)." والجدير بالذكر أن هذا الفعل الإعلاني" التمرد" هو الفعل الإنجازي الرئيس في النص الذي تصب فيه كل الأفعال السابقة، والذي يعلن ميلاد مرحلة جديدة.

(١) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال،" النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع"، ط١، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ١٤٢٦ -٢٠٠٥ ، ص ٢٤٨

# الخاتمة

- أدى عنصر السياق الخارجي وظيفة بالغة الأهمية في تولّد الخطاب وتشكّله.
- بدت الذات المتكلمة شديدة الالتصاق بموضوع خطابها، فهي الفاعل المسؤول عن التأثير في المخاطب.
- سعى المتكلم إلى أن يعيد الاعتبار إلى ذاته عبر الضغط على المخاطب ليأخذ بعين النظر نواياه التداولية.
- عمد المتكلم إلى استثمار الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وقد غلبت الأخيرة على الخطاب بحسب ما يستدعيه الغرض.
- جمعت الرسالة أنماطًا مختلفة من الأفعال الإنجازية؛ لخدمة المعاني السياقية.
- على الرغم من أن الإخباريات قد احتلت مساحة واسعة من الأفعال الكلامية إلا أن جل المعاني المستلزمة التي انبثقت عنها تمثلت في التوبيخ.
- لم يأت من الأفعال التوجيهية إلا الاستفهام، حيث ورد مرتين فحسب، متموقعًا في أماكن إستراتيجية من النص، مكّنت المتكلم من التنقل بين أغراض النص، وقد توسل به لتحقيق معان مستلزمة تتجلى في تخويف المخاطب، وتهديده، وتوبيخه، و تكذيبه.
- أفرزت الأفعال التعبيرية معاني مستلزمة عدة منها: الندم، والتهكم، والإنكار.
- تمثل الغرض الإنجازي للأفعال الالتزامية في التهديد.
- تمثل الغرض الإنجازي للأفعال الإعلانية في التمرد.
- إن الاختلاف في الغرض الإنجازي للأفعال منح الخطاب تلونًا في الأداء.

- لم يكن شرط الإخلاص على مستوى واحد من الثبات في الأفعال الكلامية، فقد بدا مهزوزًا في بعض الأفعال الالتزامية، وفي بعض الأفعال الإخبارية الدالة على الاستنتاج، في حين بدا راسخا بشدة في الأفعال الإخبارية الدالة على الاعتقاد، والأفعال التعبيرية الدالة على الدعاء أو الاعتذار.
- تماهت الأفعال الكلامية عامة مع الحالة النفسية التي كان عليها المتكلم، فظهر الاختلاف في التعبير عن الحالة النفسية التي يعبر عنها، من التعبير عن الندم حينما يعتذر، إلى توعد العدو مفصحًا عن مقصدية الإنجاز، إلى الإعلان عن التمرد.
- يظهر في الخطاب خرق للقواعد الغرايسية؛ ولاسيما قاعدتي الكيف والكيفية.
- صبت الأفعال الكلامية على اختلاف أنواعها في فعل كلامي إعلاني رئيس يحكم النص، ألا وهو التمرد.
- حشد المتكلم وسائل لغوية متنوعة، ليتوسل بها إلى إمداد الأفعال الإنجازية بطاقة تعبيرية عالية، من ذلك النفي والتقابل والتنوع في الضمائر.
- نهضت الأفعال الكلامية في مواضع كثيرة بوظائف حجاجية مهمة، على رأسها إبطال دعوى الخصم المتمثلة في مطالبته بتسليم البلاد.
- رفع القوة الإنجازية لكثير من الأفعال الكلامية، حيث ربت في المنعطفات التي ازداد فيها استفزاز المتكلم، فكثَّف من حمولتها الدلالية المتضمنة؛ ليحقق مقاصده بدقة.

# قائمة المصادر والمراجع:

- اجعيط، نور الدين. مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن
- أرمينكو، فرانسواز.المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط،١٩٨٧
- أوستين، جون لانكشو. نظرية أفعال اكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، ط٢، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢٣-٢٠٠٢
- بعيطيش، يحي. الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن كتاب " التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث،١٤٣٢- ٢٠١١
- بوقرة، نعمان. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية. مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد١٧، ٢٠٠٦
- بوقرومة، حكيمة. دراسة تداولية لأفعال التهكم في القرآن الكريم، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، ٢٠١٠
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي / مطبعة المدني
- الجلولي، العيد. نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد١٢ الخاص بـ" أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب" الجزائر.

- الزماني، كمال. الحجاج في المناظرات الموجهة إلى أهل الكتاب" مناظرة الباقلاني لملك الروم أنموذجا"، ضمن التحليل الحجاجي، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦
- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٧- ١٩٩٧
- الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ٢٠٠٤
- صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥
- عادل، عبد اللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة، ط١، منشورات ضفاف/ منشورات الاختلاف، المغرب، ١٤٣٤-٢٠١٣،
- عادل، عبد اللطيف. الحجاج في الخطاب السياسي مقاربة لأول خطاب رئاسي لمحمد مرسي، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦
- العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال،" النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع"، ط١، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥
- العشراوي، عبد الجليل. آليات الحجاج القرآني" دراسة في نصوص الترغيب والترهيب"، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦
- الفارابي، أبو نصر. الحروف، تحقيق: محسن مهدي، ط٢، دار المشرق، لبنان، ١٩٩٠

- المبخوت، شكري. إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٦
- المرادي، الحسن بن قاسم، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان،١٤١٣-١٩٩٢
- الناصري، يونس. تضافر المكونات اللغوية لحجاج المتلقي: الاستفهام نموذجا، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب" إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦
- نحلة، محمود. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط٢، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢
- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢- ١٩٩٢
- الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩-١٩٧٩

# ملحق بنص الخطبة

من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله، محمد بن المعتضد بالله، أبي عمرو ابن عباد، إلى الطاغية الباغية أذفنش بن شانجة الذي لقَّب نفسه بملك الملوك، وسمّاها بذي الملتين، قطع الله دعواه.

سلام على من اتبع الهدى ، **أما بعد** :

فإنه أول ما نبدأ به من دعواه، أنه ((ذو الملتين)) و المسلمون أحقُّ بهذا الاسم، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد، و عظيم الاستعداد، و مجبىي المملكة، لا تملكه قدرتكم، ولا تعرفه ملتكم، وإنما كانت سنة سعد أيقظ منها مناديك، وأغفل عن النظر السديد جميل مباديك، فركبنا مركب عجز نسخه الكيس، و عاطيناك كؤوس دعة ، قلت في أثنائها : ليس، ولا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، و إنا لنعجب من استعمالك برأي لم تحكم أنحاؤه، و لا حسن انتحاؤه ، و إعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار، واغتررت بنفسك أسوأ الاغترار ، أما تعلم أنّا في العدد و العديد، و النظر السديد ، ولدينا من كماة الفرسان ، و جيل الإنسان ، و حماة الشجعان ، يوم يلتقي الجمعان ، رجال تدرعوا الصبر، وكرهوا الكبر ، تسيل نفوسهم على حد الشفار ، و تنعاهم الهام في القفار ، يديرون رحى المنون بحركات العزائم ، و يشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم، قد أعدوا لك و لقومك جلادًا، رتبه الاتفاق، و شفارًا حدادًا ، شحذها الأصفاق، وقد يأتي المحبوب من المكروه، والندم من عجلة الشرور، نبهت من غفلة طال زمانها،

وأيقظت من نومة تجدد أمانها ، و متى كانت لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة ، أو وقفة متساعدة ، إلا ذل تعلم مقداره ، وتتحقق مثاره ، والذي جرّأك على ما لا تدركه قوم كالحمر : {لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر } ظنوا المعاقل تعقل ، والدول لا تنتقل ، و كان بيننا و بينك من المسالمة ، ما أوجب القعود عن نصرتهم ، و تدبير أمرهم ، ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم ، من ترك الحزم ، و إسلامهم لأعاديهم ، و الحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك، بما الموت دونه ، و بالله نستعين عليك ، ولا نستبطئ في مسيرتنا إليك ، و الله ينصر دينه الكريم : {ولو كره الكافرون} و السلام على من علم الحق فاتبعه ، و اجتنب الباطل و خدعه.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# قائمة المحتويات


| م | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | المقدمة | ٤٣٣٧ |
| ٢ | مهاد | ٤٣٣٨ |
| ٣ | الأفعال الكلامية speech acts | ٤٣٣٩ |
| ٤ | أولاً : الإخباريات أو التقريريات assertives: | ٤٣٤٠ |
| ٥ | ما يدل على الاعتقاد | ٤٣٤١ |
| ٦ | ما يدل على الاستنتاج | ٤٣٤٢ |
| ٧ | ما يدل على الملاحظة | ٤٣٤٣ |
| ٨ | ما يدل على التنويه | ٤٣٤٤ |
| ٩ | ما يدل على الوصف | ٤٣٤٥ |
| ١٠ | ما يدل على الذكر | ٤٣٤٦ |
| ١١ | ثانياً : التوجيهيات أو الأمريات أو الطلبيات directives | ٤٣٥٠ |
| ١٢ | ثالثاً : الالتزاميات أوالتعهديات أو الوعديات commissives | ٤٣٥٤ |
| ١٣ | رابعاً: التعبيريات أو الإفصاحيات أوالبوحيات expressives | ٤٣٥٨ |
| ١٤ | ما يدل على الدعاء | ٤٣٥٨ |
| ١٥ | ما يدل على الثناء | ٤٣٦٠ |

| م | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٦ | ما يدل على الترحيب | ٤٣٦٠ |
| ١٧ | ما يدل على الاعتذار | ٤٣٦٢ |
| ١٨ | ما يدل على التعجب | ٤٣٦٣ |
| ١٩ | خامساً : الإعلانيات أو الإيقاعيات declarations | ٤٣٦٥ |
| ٢٠ | الخاتمة | ٤٣٦٧ |
| ٢١ | قائمة المصادر والمراجع | ٤٣٦٩ |
| ٢٢ | ملحق بنص الخطبة | ٤٣٧٢ |
| ٢٣ | قائمة المحتويات | ٤٣٧٤ |